زَجِل الجناح اذا اجدّ لغاية • واذا تغنّى للصهيل فبلبلُ •
• جيدٌ كما التف الظليمُ وفوقه اذنٌ ممشّقةٌ وطرف اكحلُ •
وخليج هندياق حسنُ صفاته حتى بكاد بجوم فيه الصيقلُ •
• عرفت بصفحته النعال واوشكت تبغي النجاة فاوثقها الارجلُ •
فالصرحُ منه ممرّدٌ والصفح منه موردٌ والشط منه مهدلُ •
منها وبكل ازرق ان شكت الحاظه من العيون فبالعجاجة يكحلُ
متأود اعطافه في نشوة مما بعُلّ من الدماء وينهلُ •
• يجباله ان النجيع بطرفه رمد ولا يجفى عليه مقتلُ
منها لله موقفك الذى وثباته • وثباته مثلٌ به يتمثلُ •
• والخيل خط والمجال صحيفه والسمر تنقط والصوارم تشكلُ
والبيض قد كسرت حروف جفونها وعوامل الاسل المثقف تعملُ •
وهي طويلة وجميعها فرايد ولم اكثر منها الا لعلمي ان نظم الوزير لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله غريب في هذه البلاد ومن البراعات التي يفهم من اشارتها انها تهنية بمولود قول ابي بكر بن الخازن رحمه الله تعالى ::
• بشرى فقد انجز الاقبال ما وعدا • وكوكب المجد في افق العلا صعدا •
ومما يشعر بقرينة الذوق ان الناظم يريد الرثا قول التهامي في براعته •
• حكم المنية في البرية جاري • ما هذه الدنيا بدار قرارِ • وهذه القصيدة يرثي بها ولده وهي نسيج وحدها وواسطة عقدها •
منها ومكلف الايام ضد طباعها • متطلب في الماء جذوة نارِ •
• طبعت على كدر وانت تريدها • صفوا من الاقذاء والاكدارِ •
• واذا رجوت المستحيل فانما • تبني الرجا على شفير هارِ •
• فالعيش نومٌ والمنية يقظةٌ • والمرؤ بينهما خيالٌ سارِ •
ما اعلم ان احدا استهل المراثي باحسن من هذه العبارات منها يشير الى ولده وهو من المعاني المستغربة • جاورت اعداي وجاور ربه • شتان بين جواره وجواري
واما قصيدة الشيخ جمال الدين ابن نباته رحمه الله تعالى في تهنية السلطان الملك الافضل بسلطنة حماه وتعزيته بوفاة والده الملك المؤيد سقى الله عهده فهي من عجايب الدهر لانه جمع فيها بين نقيضي المدح والرثا في كل بيت وبراعتها

هنا

• هناءٌ محى ذاك العزا المتقدما • فما عبّس المحزون حتى تبسما •
• ثغور ابتسام في ثغور مدامع • شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما •
• نرد مجارى الدمع والبشر واضح • كوابل غيث في ضحى الشمس قد همى •
سبحان المانح والله من لا يتعلم الادب من هنا فهو من المحجوبين عن ادراكه وكتب اليه الشيخ صلاح الدين الصفدي قصيدة ضمن فيها اعجاز معلقة امرء القيس وصرح فيها وفي براعتها بتغليظ العتب ولم يات في البراعة باشارة لطيفة يفهم منها القصد بل صرح وقال افي كل يوم منك عتب يسوءني • كجلمود صخر حطه السيل من علِ
فاجابه الشيخ جمال الدين بقصيدة ضمن فيها الاعجاز المذكورة وبراعة استهلالها
• فطمت ولاي ثم اقبلت عاتبا • افاطم مهلا بعض هذا التدللِ •
والاشارة له بقوله • افاطم مهلا بعض هذا التدلل • لا يخفى على حذاق اهل الادب ما مراده منها وفي هذا القدر كفاية ومما احلى ما قال منها وهو مما يويد قصده في تلك الاشارة :: فدونك عتبى اللفظ ليس بفاحش • اذا هي نصته ولا بمعطلِ •
وهنا بحث وهو اني وقفت على بديعية الشيخ شمس الدين ابي عبد الله محمد بن جابر الاندلسي المشهورة ببديعية العميان فوجدته قد صرح في براعتها بمدح النبي صلى الله عليه وسلم وهي بطيبة انزل ويمم سيد الامم • وانثر له المدح وانشر طيب الكلم • له
فهذه البراعة ليس فيها اشارة تشعر بغرض الناظم وقصده بل اطلق التصريح ونثر المدح ونشر طيب الكلم كما قال • فان قال قايل انها براعة استهلال قلنا ان البديعية لا بد لها من براعة وحسن تخلص وحسن ختام • فاذا كان مطلع القصيدة مبنيا على تصريح المدح لم يبق لحسن التخلص محل ولا موضع ونظم هذه القصيدة سافل بالنسبة الى طريق الجماعة غير ان الشيخ الامام العلامة شهاب الدين ابا جعفر الاندلسي رحمه الله تعالى شرحها شرحا مفيدا • وهنا فايدة وهي ان الغزل الذى تصدر به المديح النبوي يتعين على الناظم ان يحتشم فيه ويتأدب ويتضائل ويتشبب مطربا بذكر سلع ورامة وسفح العقيق والعذيب وبارق والغوير ولعلع واكناف حاجر ويطرح ذكر محاسن المرد والتغزل في ثقل الردف ودقة الخصر وبياض الساق وحمرة الخد وخضرة العذار وما اشبه ذلك وقل من سلك هذا الطريق من اهل الادب وبراعة الشيخ صفي الدين الحلي في هذا الباب من احسن البراعات واحشمها :: وهي
ان جئت سلعا فسل عن جيرة العلم • واقرى السلام على عرب بذي سلم ::

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)